البث الفضائي والأمن الثقافي في عصر العولمة الثقافية

Satellite broadcasting and cultural security in the context of cultural globalization

د/ ابراهيم سعد الشاكر فزاني

جامعة يحي فارس ، المدية (الجزائر)

chakerfezzani@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/09/21 تاريخ القبول للنشر: 2021/12/08 تاريخ النشر: 2022/06/05

ملخص: *يشهد العالم منذ القرن العشرين تغيرات قيمية واسعة في مختلف المجالات السياسية، الإجتماعية، الإقتصادية، الثقافية والدينية، وهذا ما أدى إلى بروز صراع قيمي بين معايير اجتماعية وأخلاقية وإقتصادية قديمة، وبين قيم جديدة دخيلة جاءت نتيجة التطورات الحاصلة في تكنولوجيا الإعلام والإتصال، ويعتبر البث الفضائي من أهم مظاهر ذلك التقدم التكنولوجي، حيث انتشر ذلك البث بوتيرة متسارعة، وتزايد تأثيره في تشكيل الملامح الحضارية للمجتمعات. وعلى الرغم من فوائد التدفق الإعلامي الفضائي، والمتمثلة أساسا في التعلم، واكتشاف العالم الخارجي، إلا أن ذلك يشكل تهديدا للأمن الثقافي، وما ينتج عنه من الإزدواجية والتناقض بين الواقع المعاش، وبين الواقع الإفتراضي المنقول عبر شاشات التلفزيون.*

الكلمات المفتاحية : *القيم، البث الفضائي، العولمة، الهوية، الثقافة، الأمن الثقافي*

Abstract: *Since the twentieth century, the world has experienced vast changes in values in various political, social, economic, cultural and religious fields, which has led to the emergence of a conflict between new and old values. The evolution of information and communication technologies is the main cause, as satellite broadcasting has spread widely which has influenced the cultural foundations of societies. Despite the benefits of satellite broadcasting for learning and discovering the outside world, there remains a threat to cultural security, and a resulting contradiction between lived reality and virtual reality transmitted by television screens.*

key words: *Values, satellite broadcasting, globalization, identity, culture, cultural security*

1.مقدّمة:

أصبح مفهوم العالم قرية، وعصر الإعلام والمعلوماتية من السمات البارزة في الفترة المعاصرة، أين أصبحت وسائل الإعلام جزءا لا يتجزأ من المجتمع، ومصدرا هاما من مصادر المعلومات، وما ساعد على الإقبال المتزايد على وسائل الإعلام ظهور القنوات الفضائية، وسهولة وصول المتلقي إليها.

ارتبطت العولمة الثقافية بما أفرزته الثورة التكنولوجية التي كانت وراء ظهور بوادر عولمة الثقافة من خلال تسهيل اتصال الثقافات المتنوعة وتحرير تبادل المعلومات، الأفكار، القيم والمعارف ككل بين المجتمعات من خلال المكتسبات التقنية والمعلوماتية المتمثلة في الشبكات العالمية للاتصال كالإنترنت، الطرق السريعة للمعلومات، البث الفضائي المتعدد الجهات ، المجموعات الاتصالية المتعددة الوسائط وغيرها، الأمر الذي ساعد على تأسيس هذا المفهوم واقعيا وتبلوره معرفيا، وهذا ما دفع بعض الباحثين إلى اعتبار العولمة الثقافية نوع من أنواع الإختراق الثقافي العنيف المدعم بتكنولوجيا متطورة للاتصال، ويستهدف إنكار وإقصاء ثقافة الآخر.

لقد أصبح التلفزيون من الضروريات التي لا يمكن الإستغناء عنها في الأسرة العربية، حيث استحوذ على اهتمام كل الفئات والشرائح من نساء ورجال وأطفال، فهي الوسيلة التي تعتمد على حاستي السمع والبصر، وبذلك فهي تحتاج إلى التركيز التام من طرف المشاهد.

تعتبر القنوات الفضائية من أبرز وسائل العولمة الثقافية في العصر الحالي، حيث لم تعد مجرد أدوات لنقل المعلومات، بل صارت من العوامل المهندِسَة لأفكار واتجاهات سلوك الجمهور، وإرساء أنماط جديدة من العلاقات الإجتماعية تمس جوهر القيم والمعتقدات، فأغلب القنوات الفضائية تسعى إلى تغيير اتجاهات الأفراد، وصناعة سلوكات جديدة على أنقاض القيم السائدة في المجتمع، وعلى هذا الأساس فإن هناك علاقة وثيقة بين القنوات الفضائية والقيم في المجتمعات الإسلامية العربية، ويمكن أن تؤدي إلى نتائج سلبية على الفرد والأسرة والمجتمع.

إن هذا الواقع دفع بالعديد من الباحثين في تخصصات مختلفة إلى التحذير من القنوات الفضائية، نظرا لما يمكن أن تحمله مضامين برامجها من أفكار وسلوكات تهدد الأمن الثقافي، وبناءا على هذا الواقع يمكن صياغة الإشكالية التالية :

كيف أثرت القنوات الفضائية الأجنبية على الأمن الثقافي ؟

تتفرع عن هذه الإشكالية الرئيسية مجموعة من التساؤلات الفرعية، وهي كالآتي :

- ماهي مكونات الأمن الثقافي ؟
- ماهي مزايا وعيوب البث الفضائي ؟
- ما هي تجليات تهديد الأمن الثقافي في إطار الهوية الثقافية الكونية ؟

وللإجابة على الإشكالية الرئيسية وما تثيره من تساؤلات فرعية، تم اقتراح الفرضية التالية :

انفتاح المجتمعات على العالم الخارجي من خلال البث الفضائي الأجنبي يؤدي إلى اختراق الهوية الثقافية، وهذا ما يؤدي إلى اضعاف الأمن الثقافي، الذي يعتبر حلقة أساسية من حلقات الأمن الوطني.

وقد تم الإعتماد في هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، على وبعض مقاربات العلاقات الدولية في مجال الهوية والأمن الثقافي، ونظريات الإعلام لاسيما نظرية الغرس الثقافي.

ولمعالجة اشكالية البحث، تم تقسيم الدراسة إلى ثلاثة محاور أساسية : المحور الأول خصص للوقوف على متغير البث الفضائي، والمحور الثاني سلط الضوء على الأمن الثقافي، أما المحور الثالث فقد عُنِيَ بدراسة تهديدات البث الفضائي على الأمن الثقافي في عصر العولمة الثقافية.

2. البث الفضائي :

ما يميز التلفزيون في مرحلة الإعلام المعاصر هو البث الفضائي، وما صاحبه من كثافة في البرامج التي استطاعت أن تجذب أعداد كبيرة من المشاهدين، بسبب قدرتها على تخطي كل العقبات في سبيل إيصال رسائلها إلى الجمهور الواسع، وبذلك أصبحت الحدود الثقافية سهلة الإختراق.

لقد ساعدت التطورات المتسارعة في مجال التقنية والتكنولوجيا السمعية البصرية على تنامي دور القنوات الفضائية، حيث أصبحت تنافس الإعلام الرسمي في تحديد معالم الهوية الوطنية.

1.2 مفهوم البث الفضائي :

يرتبط البث الفضائي بالأقمار الصناعية، التي هي عبارة عن أجهزة تطلق من الأرض نحو الفضاء، ليتم ربطها بمحطة أرضية تبث البرامج التي يتم إستقبالها بواسطة الهوائيات الفضائية.

هناك تعريفات مختلفة للقنوات الفضائية، نذكر منها على سبيل مثال لا الحصر على النحو التالي :

- « هي مظاهر الإتصال الحديثة التي اعتمدت أقمار البث الصناعية وسيلة في إيصال رسائلها الإعلامية بشكل مباشر وآني، وهي أكثر وسائل البث سرعة ودقة، لكونها تعتمد على تقنيات الأقمار الصناعية والتكنولوجيا الحديثة في إيصال المعلومات إلى المشاهدين، بشكل متنوع ومستمر على مدار الساعة ». (الشريف، 2004، الصفحات 04-05)
- « هي الأقمار التي تقوم بإرسال إشارات قوية، يمكن إستقبالها مباشرة بواسطة أجهزة إستقبال التلفزيون العادية، موصلة بهوائي خاص، بمعنى أن الإشارة المرسلة من القمر الصناعي لا تمر بمحطة أرضية تتولى إعادة بثها على الشبكات التلفزيونية، كونها عالية التردد، أي إمكانية الإتصال بين القطاع الفضائي وأجهزة الإستقبال مباشرة دون المرور بالمحطات الأرضية ». (البكري، 2003، صفحة 110)
- « هي القنوات المفتوحة المتاحة للجميع عبر الأقمار الصناعية، وتستقبل من الأطباق اللاقطة دون اشتراكات ». (مراميه و وآخرون، 2003، صفحة 15)
- « هي كل البرامج التلفزيونية والأفلام الأجنبية والعربية، التي تصل إلى المشاهد مباشرة عبر طبق الإلتقاط، الذي يقتنيه فوق منزله، بحيث لا يمر على رقابة، ولا يقدم ضمن الخدمات التليفزيونية المختلفة الدولة ». (الشال، 1993، صفحة 13)

انطلاقا من التعريفات السابقة يمكن تعريف القنوات الفضائية إجرائيا بأنها : القنوات التي تعتمد على البث الفضائي عبر الأقمار الصناعية، ويستقبلها المشاهد بكل سرعة وسهولة عن طريق الهوائيات الفضائية الموصلة بأجهزة إستقبال مباشرة، بعيدا عن كل أشكال المراقبة والتمحيص و الإنتقاء المحلي.

ويختلف الاعلام الفضائي عن الإعلام الأرضي، وذلك من خلال تميزه بمجموعة من الخصائص، و التي يمكن عرضها في العنصر التالي.

2.2 خصائص البث الفضائي :

أدى إعلام العولمة إلى دحض العديد من المسلمات التي تقوم عليها تعريفات الإعلام والإتصال الجماهيري ونظرياته، ويبرز ذلك بصورة جلية في الخصائص التي يمتاز بها البث الفضائي، والتي يمكن تلخيصها كالآتي :

- سلطة تكنولوجية ذات منظومات معقدة لا تلتزم بالحدود الوطنية للدول : فهي قادرة على إيصال برامج سياسية وإقتصادية وإجتماعية وثقافية، متخطية في ذلك كل حواجز الزمان والمكان، واللغة، والدولة والأمة والوطن؛

- تتميز بالإبهار في العرض، والسيطرة الكاملة على اهتمام المتلقي : فهي تستخدم الصورة، وما يرافقها من مؤثرات ضوئية وصوتية تفرض على الملتقى التركيز التام معها؛

- إن البرامج التي تبثها القنوات الفضائية تشكل انعكاسا لقيم المجتمعات التي أنتجتها، وهذا ما يساعد على نشر ثقافة عالمية أحادية، وهذا ما يطلق عليه البعض " الغزو الثقافي "؛ (البرماوي، 2016، صفحة 137)

- توسيع الخيارات والبدائل المتاحة أمام الجمهور : وذلك من خلال الكم الهائل والغير محدود من البرامج، التي تلبي رغبات الأفراد من مختلف الشرائح والفئات.

انطلاقا من هذه الخصائص يبدو بصورة واضحة بأن البث الفضائي فرض واقعا إعلاميا جديدا يختلف عن البث الأرضي المقيد بمساحة جغرافية محددة، وعدد محصور من المتلقين، فالبث الفضائي على عكس من ذلك منتشر في كل أرجاء المعمورة، مخترقا بذلك كل الحواجز الطبيعية والموانع السياسية.

3. الأمن الثقافي :

يعتبر الأمن الثقافي أحد مكونات الأمن الوطني، الذي يشمل بدوره على الأمن العسكري والسياسي والإقتصادي والإجتماعي، ولعل أن مسألة الأمن الثقافي هي من أهم جوانب الأمن الوطني لأنها مرتبطة بالحفاظ على الذاتية والهوية، إذ أن الدفاع على الوجود يكون قبل الدفاع على الحدود. (النجيري، 1991، صفحة 15)

وللإحاطة بمفهوم الأمن الثقافي كان لزاما الوقوف على بعض المفاهيم المكونة له : الأمن والثقافة.

1.3. مفهوم الأمن : إن تحديد مفهوم الأمن ليس بالأمر السهل وذلك نظرا لأنه موجود في كافة مجالات الحياة كما أن المفهوم في حد ذاته مُصْطَبَغٌ بالأيديولوجية، والتي تجعل من الصعوبة إيجاد إجماع حوله، والأمر يصبح أكثر تعقيدا عند ما نحاول تحديد مفهوم الأمن الوطني. ((BALZACQ, 2003 – 2004, p. 34) تناولت الدراسات والمعاجم اللغوية العربية والأجنبية كلمة الأمن، وجعلت منه مرادفا للطمأنينة أو نقيضا للخوف أو مُسْتَلزِما لإنتفاء التهديد، وعموما كان مدلول الأمن يعني التحرر من الخطر أو الخوف أو الغزو.

كلمة الأمن في اللغة العربية لها معان متعددة، فهي تعني سكون القلب وراحة النفس والشعور بالرضا والإستقرار وعدم الخوف، كما تعني الأمانة والصدق، فقد جاء في لسان العرب الصفحة 140 شرح كلمة الأمن مطولا، نذكر منها المعاني والمفاهيم التي تخدم موضوعنا.

« الأمن بمعنى : الأمان والأمانة، وقد أَمِنْت فأنا آمن، وأَمَّنْتُ غيري من الأمن والأمان، والأمن ضد الخوف، والأمانة ضد الخيانة، والإيمان ضد الكفر، والأَيْمَانُ بمعنى التصديق ضد التكذيب ». (الأيوبي، 2008، صفحة 101)

إن موضوع الأمن كان ولا يزال الشغل الشاغل لمختلف الأنظمة السياسية سواء تم تناوله باسم الدفاع أو السيادة أو المصلحة القومية، وقضية الأمن القومي ليست قضية جديدة في مضمونها، بل هي قضية قديمة واجهتها الأمم السابقة وتعاملت معها، وإن كانت لم تستخدم ذلك المصطلح الذي ظهر مع ظهور الدولة القومية الحديثة ، « فظاهرة السلطة ومن ثم ظاهرة الدولة في المجتمع الإنساني ارتبطت أساسا بالمقدرة على تحقيق ذلك الشعور بالأمن لدى الناس ».[5] (الزحيلي، 1993، صفحة 145)

اختلف الباحثون حول مفهوم الأمن وأبعاده ومقوماته وأساليب تحقيقه، فكانت هناك تعريفات عديدة لمفهوم الأمن، وفي هذا الصدد يرى " باري بوزان " (Barry BUZAN) بأنه مفهوم معقد، وينبغي لتعريفه الإحاطة بثلاثة أمور على الأقل بدأً بالسياق السياسي للمفهوم، ومرورا بالأبعاد المختلفة له، وانتهاءًا بالغموض والإختلاف الذي يرتبط به عند تطبيقه في العلاقات الدولية.

• عرف " روبرت مكنمارا " (Robert McNamara) الأمن في كتابه : " جوهر الأمن" (The essence of security) في ستينيات القرن الماضي قائلا : « إن الأمن ليس هو المعدات العسكرية، وإن كان يشملها، والأمن ليس النشاط العسكري التقليدي وإن كان ينطوي عليه، إن الأمن هو التنمية، ومن دون تنمية لا يمكن أن يوجد أمن والدول النامية التي لا تنمو في الواقع لا يمكن ببساطة أن تظل آمنة »، (مكنمارا، 1970، صفحة 125)، ويقول كذلك في نفس المعنى : « لا يمكن للدولة أن يتحقق أمنها إلا إذا ضمنت حد أدنى من الإستقرار الداخلي، الأمر الذي لا يمكن تحقيقه إلا بتوفر حد أدنى للتنمية ». (بوزناده، 1992، صفحة 17). لقد ربط " مكنمارا " بين الأمن والتنمية، مُؤَسِّسًا بذلك مفهوما تنمويا جديدا للأمن.

• وفي نفس السياق تكلم " كين بوث " (Ken BOOTH) عن ضرورة إعادة صياغة مفهوم الأمن، وذلك في مقال له تحت عنوان : " الأمن والتحرر " سنة 1991، حيث قال : « الأمن يعني عدم وجود تهديدات، والتحرر هو تحرير الناس كأفراد وجماعات من هذه القيود المادية والبشرية، التي فرضت عليهم من دون اختيار. الحرب والتهديد بالحرب هي واحدة من تلك القيود جنبا إلى جنب مع الفقر، وضعف التعليم، والقمع السياسي وغيره. الأمن والتحرر هما وجهان لعملة واحدة، والتحرر هو الأمن الحقيقي الذي لا تنتجه لا السلطة ولا النظام ». (BOOTH, 1991, p. 317)

إن مثل هذه التصورات الغير عسكرية للأمن ساهمت مع بداية التسعينات في بروز المفهوم الشامل للأمن، ويُقصد به مجموعة الأسس والمرتكزات التي تحفظ للدولة تماسكها واستقرارها في مواجهة المشكلات التي تعترضها في شتى مجالات الحياة الإجتماعية والسياسية والإقتصادية والغذائية والصحية والثقافية

وغيرها من المقومات الأساسية التي تقوم عليها الدولة، وما تجدر الإشارة إليه هو أن بعد ذلك شاع استخدام مصطلحات الأمن الغذائي والأمن السياسي والأمن المجتمعي والأمن الإقتصادي والأمن العسكري والأمن البيئي وغيرها للدلالة على كل متطلب من متطلبات الأمن بمعناه الواسع، كما مهد مفهوم الأمن الشامل فيما بعد لبروز مفهوم جديد في حقل الدراسات الأمنية، وهو مفهوم الأمن الإنساني (الأمن البشري)، وفي هذا السياق يقول " باري بوزان " : « إذا أمام هذه المعطيات يمكن تحديد المكونات الأساسية للأمن الإنساني في إطار المسائل التالية : الأمن الإقتصادي، الأمن الغذائي، الأمن الصحي، الأمن الشخصي، الأمن المجتمعي، الأمن السياسي ». (BUZAN, 1983, p. 28)

2.3. مفهوم الثقافة :

هناك العديد من التعريفات لهذا المفهوم، ولعل من أقدمها تعريف "إدوارد تايلور" (Edouard Taylor) الذي قدمه في أواخر القرن التاسع عشر، والذي يذهب فيه إلى أن الثقافة هي : « كل مركب يشتمل على المعرفة والمعتقدات والفنون والأخلاق والقانون والعرف، وغير ذلك من الإمكانيات أو العادات التي يكتسبها الإنسان باعتباره عضوا في مجتمع ». (رشتي، 1978، صفحة 60)

ومن أبسط تعريفات الثقافة وأكثرها وضوحا تعريف "روبرت بيرستد" (Robert Bearsted) حيث يعرفها بقوله : « إن الثقافة هي ذلك الكل المركب الذي يتألف من كل ما نفكر فيه، أو نقوم بعمله، أو نتملكه كأعضاء في مجتمع ». (سليمان، 2017، صفحة 174)

بناءا على ما سبق يمكن القول بأن الثقافة هي تلك : الكم من المعارف والمعتقدات والممارسات والتوجهات والأعراف والأخلاق والفنون، التي يكتسبها المرء خلال تنشئته كي يصبح عضوا في المجتمع. وبالتالي فإن لكل مجتمع ثقافته وخصوصياتها، وتعطى حاملها هويته الإجتماعية، وتحدد أفقه الوجودى وتوجهه، ومرجعياته العامة . كما أنها تؤدي إلى تماسك المجتمع وفاعليته.

وعطفا على ما سبق يتضح بأن للثقافة مجموعة من الخصائص يمكن ذكرها كالآتي :

- الثقافة نتاج اجتماعي إنساني : (الساعاتي، 1988، صفحة 75) حيث لا وجود للثقافة دون مجتمع إنساني، فالثقافة تنشأ عن الحياة الاجتماعية، والثقافة تشمل جميع نواحي التراث الإجتماعي البشري أو كل ما يميز الحياة الإجتماعية عند الإنسان.
- الثقافة مكتسبة : إن الثقافة ليست غريزية ولا فطرية كما أنها لا تنتقل بيولوجيا، ولكنها تتكون من العادات التي يكتسبها كل فرد خلال خبرة حياته بعد الميلاد.
- الثقافة انتقالية وتراكمية : تنتقل الثقافة من جيل إلى جيل على شكل عادات وتقاليد ونظم وأفكار ومعارف يتوارثها الخلف عن السلف عن طريق الرموز اللغوية كما أنها تنتقل من وسط اجتماعي إلى وسط آخر.
- الثقافة مثالية : ينظر إلى العادات الإجتماعية التي تكون الثقافة على أنها تمثل نماذج مثالية ينبغي على أفرا المجتمع أن يمتثلوا لها، ويتكيفوا معها.

•الثقافة متغيرة : فالثقافة خاضعة لقانون التغير الذي تخضع له جميع مظاهر الكون، والتغير الثقافي يحدث في العناصر المادية في المباني والأثاث والملابس وغيرها، والعناصر المعنوية مثل العادات والأفكار.

3.3. تعريف الأمن الثقافي : ليس هناك تعريف دقيق للأمن الثقافي، إذ جاءت تعريفات مختلفة له، ومن بين هذه التعريفات ما يلي :

• « مقدرة المجتمع على صون خصائصه المميزة رغم الظروف المتغيرة والتهديدات الثقافية الحقيقية أو المفترضة، وذلك يشمل اللغة والذاكرة الجماعية والهوية والممارسات الوطنية والدينية ». (ابراهيم، 2005، صفحة 10)

• « الحفاظ على المكونات الثقافية الأصيلة في مواجهة التيارات الثقافية الوافدة أو الأجنبية المشبوهة، وهذا من خلال الحماية والتحصين للهوية الثقافية من الإنحراف والإحتواء من الخارج ». (موسى، 2006، صفحة 47)

• « توفير الثقافة الصالحة للناس حتى يتمكنوا من خلالها أن يعيشوا حياتهم المعاصرة بشكل سليم وإيجابي، وكذلك يعني حماية ثقافة المجتمع من تأثير الثقافات الضارة، والتي لا تنسجم مع خصوصيات الثقافة في الماضي والحاضر ».

• «حماية القيم الأصلية مثل التقاليد، اللغة، الدين والعادات، وما إلى ذلك، وخصائص المجتمع ضد الظروف القائمة والتهديدات المحتملة ». (Noroce, Hellström, Jørgensen, & Hope, 2020, p. 69)

بناءا على ما ورد في التعريفات الإصطلاحية السابقة نستنتج بأن الأمن الثقافي لا يقل أهمية عن الأمن الغذائي، والأمن السياسي، وغيرهما من أنواع الأمن الأخرى، والأمن الثقافي هو العمل على الحفاظ على الهوية الوطنية في مواجهة التحديات والتغيرات والغزو الأجنبي الخارجي، الذي غالبا ما يسعى إلى طمس، أو تشويه الهوية الثقافية لذلك البلد ولتلك الأمة. ويعتبر " أويل ويفر " بأن هذا المعنى الجديد للأمن فرضته جملة من آثار العولمة والظواهر العابرة للحدود، وبذلك أثار " ويفر " قضية جديدة في الدراسات الأمنية، لم تكن موجودة في السابق ألا وهي الهوية، وفي هذا السياق عَرَّف " ويفر" سنة 1993 الأمن بقوله : « هو قدرة المجتمع على المحافظة على مميزاته الخاصة رغم التهديدات والتغيرات الظاهرة والخفية، وبصفة خاصة الأمن هو استمرار المخطط التقليدي للغة، الثقافة، المجتمع، الهوية، والقيم الوطنية والدينية ». (MONTBRIAL, 1999, p. 04)

1.3.3 مقومات الأمن الثقافي :

يتضح من خلال مفهوم الأمن الثقافي بأن هناك مقومات يرتكز عليها، ويمكن اعتبار في هذا الصدد بأن القيم ،اللغة والهوية هي من أهم مقومات الأمن الثقافي.

فبالنسبة للقيم تعتبر دعامة أساسية في أي مجتمع، فهي التي بناءا عليها تُحدَّد سلوكات الأفراد في المجتمع، وهناك تعريفات مختلفة لمفهوم القيم، من أشهرها ما يلي :

• يعرف " هاري جونسون " (Harry JOHNSON) القيم بأنها :« فكرة أو معيار ثقافي تُقارن على أساسه الأشياء أو الأفعال، فتحظى بالقبول أو الرفض نسبة لبعضها البعض، باعتبارها من الأمور المستحبة أو غير المرغوبة، الصحيحة أو الخاطئة ». (الفاروق، 1978، صفحة 148)

• ويرى " تالكوت بارسونز " (Talcott PARSONS) في كتابه : " الشخصية والبناء " بأن القيم هي : « تصورات توضيحية لتوجيه السلوك في الموقف الإنفعالي، تُحدِّد أحكام القبول أو الرفض، تنبع من التجربة الإجتماعية، وتتوحد بها الشخصية، وهي عضو مشترك في تكوين البناء الإجتماعي والشخصية الفردية، فهي من مكونات الموقف الإجتماعي، لأنها تتضمن نظام الجزاءات المرتبط بنظام الأدوار في البناء الإجتماعي، كما أنها تكون جزءا من لب الشخصية الإجتماعية للفرد، لأنها حصيلة أو نتاج التنشئة الإجتماعية، والقيم قد تكون واضحة تحدد السلوك تحديدا قاطعا، أو غامضة متشابهة تجعل الموقف ملتبسا مختلطا ». (مرعي، 1998، صفحة 453)

انطلاقا من التعريفات السابقة يمكن صياغة التعريف الإجرائي للقيم : فهي تلك المبادئ والأسس الجوهرية التي تُلقَّن للأفراد من خلال التنشئة الإجتماعية، عن طريق مؤسسات التنشئة، وتكون القيم هي المُؤطِّرة والموجهة لسلوك الأفراد بما يحقق القبول الإجتماعي، وبالتالي فإن منظومة القيم تُحاصر الإنسان في الوجود، فهي حاضرة كرموز في فضاءات المجتمع، وهي معايير وتقاليد تحكم التفاعل الإجتماعي، وهي بمثابة الضمير الباطني للإنسان، الذي تشكل من خلال عملية التنشئة الإجتماعية.

وتمتاز القيم بمجموعة من الخصائص تجعلها تتميز عن باقي السلوكات، ويمكن حصر أهم هذه الخصائص في النقاط التالية :

- القيم ذاتية وشخصية : ترتبط القيم بشخصية الفرد وذاته ارتباطا وثيقا، الأمر الذي يجعلها موضع خلاف بين الأفراد، فالحسن والقبح والقبول والرفض لشيء ما يقوم على تصور الفرد لهذا الشيء، من منطلق مبادئه ومعتقداته؛

- القيم نسبية : فهي تختلف بإختلاف الزمان والمكان، فالقيمة ترتبط بتصورات الأفراد في زمان ومكان محدد، ومن هنا فالقيم تختلف بين الأشخاص والثقافات والأجيال، فما يعتبره جيل قيمة إيجابية، قد يراه جيل آخر بأنه قيمة سلبية؛

- القيم تجريدية : إن مضمون القيم هو معياري، أخلاقي، مجرد، فالعدل من حيث أنه قيمة هو شيء مجرد، لكنه يأخذ في الواقع بعدا ملموس من حيث السلوك المنتهج من طرف الأفراد، الذي يمكن الحكم من خلاله على مدى عدالتهم؛

- القيم متدرجة : و هذا ما يعبر عنه بالسلم القيمي، الذي يقصد به الترتيب الهرمي للقيم، فالفرد في حياته له أولويات قيمية يفضلها على قيم أخرى يراها بأنها ثانوية، وهنا تلعب الخبرة والنصح والوعي والتعلم دورا هاما في تقدير الفرد لأهمية قيم على حساب أخرى؛

- تنتقل القيم من جيل إلى جيل عن طريق التنشئة الإجتماعية : فهي التي تلقن أفراد المجتمع القيم عن طريق مؤسسات التنشئة الإجتماعية المتمثلة خاصة في الأسرة، المدرسة، المسجد؛

- إمكانية التغير في البناء القيمي : فالقيم ليست ثابتة ومستقرة، وإنما هي متغيرة وتخضع لتصورات الفرد وما يتعرض له من مؤثرات خارجية.

وتظهر أهمية القيم من خلال النقاط التالية :

- القيم جوهر الكينونة الإنسانية : تعتبر القيم محورا أساسيا في بناء شخصية الإنسان وحياته، فبالقيم يختلف الإنسان عن سائر الكائنات الأخرى فهي تعكس إنسانيته؛

- القيم تحدد سلوكات الفرد وإتجاهاته : إن مصدر السلوك الإنساني هي القيم التي تنبثق عن المعتقد والفكر والتصور؛

- القيم وقاية للفرد من الإنحراف : إن غرس القيم السليمة والصحيحة في الفرد يحول دون انحرافه نفسيا، جسديا، وإجتماعيا؛

- القيم تصنع الإنسان الإيجابي البعيد عن السلبية : إن القيم هي التي تحدد الرؤية المستقبلية للفرد، وتمكنه من رسم أهدافه في الحياة، فقيم الفضيلة تولد لدى الإنسان الطاقات الإيجابية التي تمكنه من التفاعل الإيجابي مع مختلف مواقف الحياة.

- القيم تحافظ على وحدة المجتمع وتماسكه : لقد أثبت التاريخ بأن قوة المجتمعات لا تكمن فقط في المقاومات المادية، وإنما يتوقف استمرارها وبقاؤها كذلك على ما تجود به من معايير قيمية وخلقية، التي تعتبر أساسا البناء الحضاري الإنساني.

- القيم تحافظ على هوية المجتمع وتضمن تميزه : ليس هناك مجتمع بدون هوية، فالقيم هي أساس الهوية، وهي محور الثقافة. فالمجتمعات تختلف عن بعضها البعض بما تزخر به من أصول ثقافية ومعايير قيمية تشمل مختلف نواحي الحياة، و من هنا فإن الحفاظ على هوية المجتمع تنبع من الحفاظ على معاييره القيمية. إن بروز مفهوم الهوية في نظريات العلاقات الدولية كان نتيجة التخوفات من المخاطر التي أفرزتها العولمة على الخصوصيات الثقافية.

كما تعتبر اللغة من أهم مقومات الأمة في مختلف الأزمنة والعصور، ومن هذا المنطلق نالت اللغة هامشا كبيرا من الإهتمام والدراسة والبحث من طرف المفكرين والفلاسفة، ومن بين تعريفات اللغة نجد من بينها ما يلي :

- « إنها منظومة مؤلفة من أصوات منطوقة أو مكتوبة، مترابطة وفقا لقواعد بنائية معينة، في سبيل تحقيق الإتصال الفكري والعاطفي بين الناس ». (خليل، 1961، صفحة 15)
- « اللغة هي مجموعة من الرموز الصوتية التي يحكمها نظام معين، والتي يتعارف أفراد مجتمع ذي ثقافة معينة على دلالتها، من أجل تحقيق الإتصال بين بعضهم البعض ». (مناع، 2000، صفحة 27)

انطلاقا مما سبق نتوصل إلى أن اللغة هي عبارة عن منظومة تتكون من مجموعة من الأصوات المنطوقة والمكتوبة، التي تستخدمها جماعة من الناس في التواصل بينهم والتعبير عن أفكارهم، وإبراز عواطفهم، والإفصاح عن حاجاتهم ورغباتهم.

وانطلاقا من التعاريف السابقة يمكن استنتاج جملة من السمات التي تمتاز بها اللغة، وذلك وفق ما يأتي ذكره :

• اللغة ظاهرة إنسانية : فهي ظاهرة تختص بالجنس البشري، و هي من أكثر قدرات الإنسان تعقيدا؛

• اللغة رموز : فالرمز يعني التعبير عن شيء ذي دلالة محددة يتفق الناس عليها، ومن ثم فالرمز نسبي يختلف من مجتمع إلى آخر؛

• اللغة أصوات : اللغة هي نظام صوتي، فهي أقدم أنواع الإتصال بين البشر، وهي أول ما يكتسبه الطفل ويلفت انتباهه؛

• اللغة عرف : فهي نظام عرفي يتفق فيه الناس على دلالات الرموز دون اشتراط مبرر عقلي لكل ما يتفقون عليه؛

• اللغة نظام : النظام هو القاعدة التي يسير عليها العمل، والنظام في اللغة يشمل مختلف القواعد التي تنظم العلاقة بين المكونات المختلفة، فاللغة أصوات وحروف، مفردات وتراكيب؛

• اللغة اتصال : فمن خلال اللغة يكون الإتصال بين أفراد المجتمع، في تعاملاتهم اليومية؛

• اللغة ثقافة : إن اللغة باختصار هي وعاء الثقافة، وهي الوسيلة المثالية لنقل الثقافة من جيل إلى جيل.

وتكتسب اللغة أهمية بالغة في حياة الشعوب والأمم، ويبرز ذلك فيما يلي :

• تلعب اللغة دورا هاما في بلورة حضارة الشعوب ومظاهر ثقافتها، وأداة التعبير ومرآة الوعي، ورمز الوحدة، وأداة الإتصال، والإرتباط بالتراث الثقافي والتاريخ الإجتماعي؛ (الشيخ، 2009، صفحة 15)

• اللغة هي الوسيلة التي اعتمدها الإنسان في تدوين الأخبار والإنجازات العلمية والأدبية، وأن الوثائق تعتبر الركيزة الأساسية في المعرفة التاريخية؛

• ترتبط اللغة ارتباطا وثيقا بالأمة، فغالبا ما تقترن اللغة باسم الأمة وهويتها القومية، ويشذ عن هذه القاعدة جميع الشعوب التي فقدت لغتها الأصلية واكتسبت لغات قومية أخرى؛

• للغة مفعول سحري، (صالح، 2012، صفحة 45) حيث تمارس الألفاظ والكلمات في الثقافة الشعبية تأثيرا سحريا ووجدانيا، فالمصطلحات التي تحمل معاني البطولة والتضحية والأمجاد تثير في نفوس الناس أعنف الإنفعالات لدرجة تدفع اصحابها إلى القيام بأي شيء يُطلب منهم، حتى العقل والمنطق والواقع والمصالح الموضوعية لا تستطيع أن تقف في وجه الجموح العاطفي الذي تثيره الألفاظ؛

• ويرى علم الإجتماع اللغوي المعاصر بأن الهوية هي ظاهرة لغوية، حيث أن الدور الذي تلعبه اللغة في التفكير والإدراك هو دور كبير، و تتأسس عليه شخصية الإنسان، فللغة دور بارز في تكوين الثقافات وتشكل الهويات، سواء كانت هوية دينية أم سياسية أم عرقية.

وتوجد علاقة وثيقة بين الهوية واللغة، ، ويمكن الإشارة إلى بعض التعريفات على الشكل التالي :

• « يرتبط مفهوم الهوية بتعارف جماعة معينة على أنها مجموعة متجانسة إثنيا أو محليا أو مهنيا أو دينيا أو قوميا، فهي وعي بالذات والمصير التاريخي الواحد من موقع الحيز المادي والروحي، و يمكنها أن تحدد

توجهات الناس وأهدافهم، وتدفعهم إلى العمل معا في تثبيت وجودهم، والمحافظة على منجزاتهم ». (لبيض، 2009، صفحة 33)

• « هي منظومة من المعطيات المادية والمعنوية والإجتماعية، التي تنطوي على نسق من عمليات التكامل المعرفية، ولكن لا يمكن لمثل هذه المنظومة أن تكون في حيز الوجود ما لم يكن هناك شيء ما يعطيها وحدتها ومعناها، ويتمثل ذلك في الروح الداخلية التي تنطوي على خاصية الإحساس بالهوية والشعور بها ». (ميكشللي، 1993، صفحة 129)

انطلاقا من التعريفات السابقة يتضح بأن الهوية مفهوم يطلق على الجماعة المنسجمة في قيمها الدينية والثقافية و الإجتماعية، مما يجعلها تتميز عن باقي الجماعات الأخرى.

3. الأمن الثقافي وعولمة الهوية الثقافية:

تحضى القنوات الفضائية اليوم باهتمام ومتابعة كبيرة من طرف الأفراد، إذ لا يكاد يخلو بيت أو مقهى أو متجر من جهاز تلفاز، فهو يعتبر من أكثر الوسائل انتشارا وتأثيرا في الناس، وأصبح يمثل ضرورة عصرية لا غنى عنها.

أصبح البث الفضائي في الفترة الراهنة يستقطب عددا متزايدا من المشاهدين من مختلف الأجناس والمستويات والأعمار، وإن كان أحد لا ينكر فضل القنوات الفضائية في التعليم والترفيه والتثقيف، فإن تلك القنوات الفضائية باتت تعمل على غرس قيم جديدة مضادة للقيم الأصلية والسوية، لا سيما في البلدان الإسلامية العربية، و التي نتج عنها انتشار لسلوكات غريبة ودخلية وهجينة في تلك المجتمعات. إن تغير القيم في عصر إعلام العولمة أصبح السمة البارزة في المجتمعات، لا سيما منها المجتمعات المتخلفة التي لا تملك الوسائل اللازمة للوقوف في وجه قوى التغيير، وتعتبر القنوات الفضائية من أهم وسائل الإعلام المعاصر التي أضحت تمارس تأثيرا واضحا على القيم داخل المجتمعات، متخطية بذلك كل حدود وحواجز الثقافة الوطنية، وفي هذا السياق يقول المفكر الفرنسي دانيال كولار (Daniel Kollar): « لم تعد أي حدود قادرة على إيقاف الإنتقال والتدفق الحر للمعلومات عبر الإذاعة والتليفزيون ووكالات الأنباء وشبكات المعلومات بالصورة والصوت والنص، وعن طريق الشركات العالمية للإتصال، مما يترتب عنه خطر مزدوج على الدول الضعيفة، فالدول التي تملك تكنولوجيا الإتصال الحديثة تكون قادرة في المدى القريب على ممارسة سيطرة ثقافية ولغوية على الدول المحرومة من هذه التكنولوجيا، والتأثير بقوة على ثقافاتها الوطنية بفرض ثقافتها ذات المضمون الترفيهي الإرتجالي، وعلى المدى الطويل فإن خطر التجانس الثقافي بواسطة وسائل الإتصال الحديثة ليس مستبعدا، وفي الحالتين تصبح شخصية وكرامة الثقافات الوطنية مهددة ». (بول، 1999، صفحة 197)

يمكن إبراز أثر القنوات الفضائية على الأمن الثقافي في المجتمعات المختلفة مع التركيز على المجتمعات الإسلامية العربية في النقاط التالية :

1.3. تسليع الثقافة من خلال صناعة الثقافة :

في ظل العولمة الثقافية تراجعت أهمية الثقافة المكتوبة إلى حد كبير، أمام التقدم الكبير في مجال الصورة التي تمتلك كل مقومات التأثير الفعال، مما أهلها إلى تجاوز الحاجز اللغوي من خلال الإعتماد على الإبهار ومخاطبة المشاعر، والذي نتج عنه تغييب العقل، وإطلاق العنان للغرائز، وفي نفس السياق يقول " محمد علي فرح " في كتابه : " صناعة الواقع : الإعلام وضبط المجتمع " : « نعم إن هذه هي حقيقة هذا الجهاز المسمى بالتلفاز، إنه يقوم ببرمجة عقولنا، إنه يقوم بقصف العقل بمجموعة هائلة من الصور بدون تسلسل منطقي لها، وجداول من المسلسلات ونشرات الأخبار، وبرامج وأمور أخرى لا علاقة بينها على الإطلاق ... أن هذه الصورة من العروض تقوم بفعل غسيل المخ » (فرح، 2014، صفحة 280) ،ويتابع يقول بأن : « أحد أهم الدراسات التي ناقشت علاقة العقل بالوسائل الإعلامية تؤكد أن العقل هو الذي يتحكم بالمادة المقروءة، بينما التلفاز هو الذي يتحكم بالعقل ». (فرح، 2014، صفحة 283)

والعولمة الثقافية هي صياغة مكون ثقافي عالمي وتقديمه كنموذج ثقافي، وتعميم قيمه ومعاييره على العالم أجمع، بالإضافة إلى الإشارة من خلال هذا البعد من العولمة - إلى الثقافة كسلعة عالمية تسوق كأي سلعة تجارية أخرى، ومن ثم بروز وعي وإدراك ومفاهيم وقناعات ورموز ووسائط ووسائل ثقافية عالمي الطابع وانطلاقا من هذا التوجه الرأسمالي العالمي سقط الفعل الثقافي في حلقة التسليع والتصنيع مثله مثل أي منتج ذو قيمة تبادلية، وهذا ما حوله إلى قيمة تجارية تقضي على قدرته النقدية، وعليه فالدور الوجودي للثقافة في أي مجتمع باعتبارها نظاما ضروريا لإنتاج المعاني والرموز والقيم المحددة لسلوك أفراده سوف يتراجع، بحيث تصبح هذه الأخيرة مجرد وسيلة لتعبئة الجماهير وحثهم على استهلاك مختلف السلع في طابعها المادي دون البحث عن الأصول الكامنة فيها، وهذا هو هدف ما يسمى بصناعة الثقافة. فهي تعني تحويل الإنتاج الثقافي إلى سلع، بحيث يصبح للصناعات الثقافية هدف محدد وهو منح الشرعية الإيديولوجية للمجتمعات الرأسمالية القائمة ودمج الأفراد في أسلوب حياتها، وذلك عن طريق أدوات الصناعات الثقافية المتمثلة في الإذاعة وعالم الأزياء والإعلان والإشهار والسينما والأشكال الأخرى لثقافة الإعلام. (عوض، 2013، صفحة 103) وبذلك يتضح جليا بأن الرأسمالية وظفت الثقافة لغاياتها المادية الصرفة. (إغلتن، 2018، صفحة 236) وفي نفس السياق يرى " بيار بونتوازو " (Pierre .A. Pontoizeau) بأن : « الثقافة أصبحت بفعل الموضة تشكل القاعدة الأساسية للاستهلاك في ظل النظام الإقتصادي الرأسمالي، وأن العمل الإعلامي في هذا النظام قد ساهم وأبدع في خلق سياق اجتماعي ونفسي يضمن الإستمرارية في الرغبات الجديدة عبر الموضات الجديدة التي يخلقها المحيط الثقافي المكون من الصور، الأبطال، طرق اللباس، الأذواق الغذائية. ومن هنا تتضح المبادئ الأساسية التي تحكم الصناعة الثقافية

القائمة على مبدأ التسليع وإخضاع المنتجات الثقافية للنهج التجاري المتبع في إنتاج أي مواد أو سلع ذات قيمة تبادلية ». (طالة، 2014، صفحة 115)

وهكذا فإن العولمة الثقافية أضحت خطرا على خصوصية ثقافات المجتمعات المتخلفة وتهدد ذاتياتها بما تطرحه من أشكال ثقافية غربية، وبما تتسم به من سطحية ، هشاشة، خداع، تلاعب بالعقول، نشر للأوهام، توليد للإحساس بالخواء و الإستيلاب، مع عدم إمكانية نقدها أو تفحصها أو إخضاعها للتحليل، وهذا ما مهد لظهور صناعة عالمية جديدة وهي : صناعة العقول أو صناعة الوعي، أو ما اصلح على تسميته " سكينر " « هندسة الثقافة وتغيير العقول وانتاج الإعتقادات ». (جلال، 2000، صفحة 231)

وبناءا على ذلك فالثقافة الكونية التي تدعو لها العولمة لن تسمح لأي ثقافة محلية أن يكون لها دور ملموس في صياغة الثقافة الكونية إلا بعدما تقدم الثقافة المحلية تنازلات عن بعض تراثها المادي والغير مادي، وتتبنى في مقابل ذلك قيما جديدة، وهذا ما ينتج عنه تناقض بين الثقافة المحلية والثقافة الكونية، يتحول تدريجيا إلى صراع حضارات، وليس إلى تقارب بين الثقافات. (العايد، 2004، صفحة 17)

2.3. خلخلة القيم والمعتقدات :

تعتمد القنوات الفضائية في غرسها لقيم جديدة في المجتمعات على الإغراء والجذب والترغيب، وفق منهجية تقوم على العرض الدائم والمتكرر للصورة التي تحمل في طياتها معاني لقيم جديدة مضادة للقيم التقليدية، فهو أسلوب سلس ومرن يدفع إلى التبني والقبول التدريجي للقيم الجديدة بعيدا عن الوعي، وهذا ما يسمى بـ " الغرس الثقافي ". ويمكن تعريف عملية الغرس على أنها زرع مكونات معرفية ونفسية تقوم بها وسائل الإعلام وخاصة التليفزيون. فالتلفزيون يقوم بتلقين الفرد قيما واتجاهات معينة، وهي تعلم عرضي غير مقصود (التعرض التراكمي الثابت والمتكرر) يكتسب المشاهدون من خلالها - بدون وعي - الأفكار والحقائق والقيم المتضمنة في عالم التليفزيون، لتشكل هذه الحقائق بصفة تدريجية أساسا للصور الذهنية والقيم التي يكتسبها المشاهد عن العالم الحقيقي. (عمارة، 2008، صفحة 71)

وفي نفس هذا الإتجاه يقول "مارتن جرونيان" (Martin Groyan): « إن معنى الحياة التلفزيونية أننا لا نحيا حياتنا وإنما نحيا التلفزيون، فنحن نعيش على شاشة التلفزيون ونستسلم لها دون أن نفعل شيئا سوى الإنصات بلا حراك، فالتلفزيون يعيش لنا ويرى لنا ويسمع لنا ويعطينا الحلول المطلوبة، وهو بذلك يعطل قوى الفكر ويعوق تطور الشخصية واستقلالها ». (الحربي ع.، 2003، صفحة 209)

إن خلخلة القيم والمعتقدات تتجلى في التأسيس لتناقض داخل الثقافة الوطنية حيث أن نفس الجهاز (التلفزيون) يبث المسلسلات والإعلانات التي تمجد الخيانة وسلوكيات الإنحراف، وفي نفس الوقت يعرض مضامين برامج دينية تحث على قيم النقاء والطهارة، وهذا ما يبعث في نفس المشاهد حالة من الحيرة والإرباك، أو حالة تتساوى فيها كل القيم منحرفة كانت أو سوية، وهو ما يجعل المشاهد يقبل على القيم المنحرفة كما يقبل على القيم السوية، وهذا يُعتبر بتشكيل العقول والتلاعب باتجاهات الرأي العام وتوجيه رغبات الناس بما يتفق مع سياسات ومصالح أصحاب هذه المحطات من الدول الصناعية الغربية، وغرس

قيم تتعارض مع الثقافة التقليدية الأمر الذي يهدد النسيج الإجتماعي. (محمد، 1994، صفحة 93)

3.3. الترويج للثقافة الهابطة والإعلام السلبي :

يتحجج القائمون على القنوات الفضائية في انتقائهم للبرامج بتلبية أذواق الجماهير العريضة، غير أن مضامين تلك القنوات تؤسس لثقافة مادية بحتة، لا مجال فيها للروحانيات أو العواطف، والمشاعر الإنسانية والعلاقات الإجتماعية القائمة على التعاطف والتكافل والإهتمام بالآخرين، بل إنها ثقافة قائمة على الربح المادي، وفي المقابل نجد بأنها ثقافة لا تراعي القيم الإجتماعية، ولا تحترم الخصوصيات الثقافية. ويظهر ذلك في دراما الجرائم التليفزيونية التي تؤكد على العنف أو البرامج الجنسية الفاضحة التي تصل إلى حد الدعارة، وهذا ما يؤدي إلى خفض مستوى الذوق وإفساد الأخلاق، فالتعرض للعنف المتكرر في أفلام الإثارة أدى إلى ذيوع الرعب بشكل كبير بين أوساط الشباب.

كما أدت الفضائيات الأجنبية إلى تشويه وظائف وصورة كل فرد من أفراد الأسرة، فعندما يتعلق الأمر بالمرأة فإن القنوات الفضائية أصبحت تقدم المرأة على أنها سلعة جنسية من خلال التركيز على العلاقات الإباحية، والإغراء الجنسي، وإثارة الشهوات، وهذا ما يتنافى مع الكرامة الإنسانية للمرأة والدور الأساسي الذي تلعبه في الأسرة والمجتمع كأم صاحبه تضحيات تستحق التقدير والإحترام. (المعماري، 2014، الصفحات 103-104) وحتى الرجل أصبح يقدم على أساس سلعة جنسية، فمن خلال الإطلاع على مضامين الدراما التلفزيونية نجد بأن القنوات الفضائية فيما يخص الرجل فإنها تركز على الصفات الجسدية كالأناقة، أو على النجاح المادي المتمثل في الغنى والثروة، وهذا ما أدى في النهاية إلى تزكية وتغليب المؤهلات المادية والجسدية على قيم الحق والخير والكفاح، وخلق حالة من العجز والدونية والإحباط النفسي لدى الكثير من الشباب الذين لا يمتلكون مثل تلك الصفات المادية والجسدية. هذا التنميط على مستوى المظهر ليس اعتباطا في اطار العولمة الثقافية، بل هو مكون أساسي من ملامح وسمات صورة الشباب، الذي يواجه ضغطا كبيرا لحتمية اتباعها لاتباعها، باعتبارها النموذج للشباب المعاصر، المنفتح على الدنيا. إنها تمثل الثقافة الفرعية للشباب، يجد هويته وتميزه من خلالها، وبالتالي فليس من السهل مقاومتها، وعدم الانتماء إليها. (حجازي م.، 1998، صفحة 46)

4.3. تبعية الإعلام الفضائي العربي : ويظهر ذلك بوضوح في هيمنة البرامج الثقافية المستوردة أو المستنسخة والمعربة، والتي أصبحت تفسد الذوق العام، وتضرب في العمق مقومات الهوية الإسلامية العربية.

إن المتتبع للقنوات الفضائية العربية يجدها بأنها حادت عن الهدف الذي نشأت من أجله وهو إشباع رغبات المشاهد العربي، وسد العجز والفراغ الذي كان موجودا في ظل الإعلام الرسمي والقنوات الغربية.

إن معظم القنوات الفضائية العربية غلب على إنتاجها البرامجي الطابع الترفيهي المقلد لما ينتجه الغرب، والتي تروج لثقافة العُري، وإثارة الشهوات لدى الشباب المراهقين، ومن أمثلة ذلك " الفيديو كليب " الذي تقدم فيه المرأة على أنها سلعة للعرض وجذب الأنظار حولها من أجل الترويج للسلع الإستهلاكية، التي يكون الهدف من ورائها الربح السريع.

تشير الإحصائيات إلى أن نسبة البرامج الترفيهية المستوردة في معظم القنوات العربية تبلغ 88 ٪ من جملة البرامج المستوردة، (بلقزيز، 2003، صفحة 82) وأن معظم تلك البرامج الترفيهية تحمل كثيرا من قيم المجتمعات المنتجة لها، وهي في غالب تتناقص مع القيم الإجتماعية الأصيلة. (أحمد، 2001، صفحة 65) وفي نفس السياق كذلك تشير إحصائيات عن منظمة اليونيسكو بأن مصر وسوريا مثلا تستوردان ثلث البث الإعلامي فيهما من الدول الغربية، وترتفع هذه النسبة في كل من الجزائر ولبنان إلى حوالي 70٪ من إجمالي ما يُستورد من الولايات المتحدة الأمريكية، بالإضافة إلى ذلك فإن الدول العربية تستورد من دول الإتحاد الأوربي ما نسبته 40٪ من البرامج التمثيلية، و25٪ من الأفلام السينمائية، و14٪ من برامج الأطفال. (حجازي أ.، 2004، صفحة 26) ومن أمثلة تلك البرامج ما يسمى بـ" تلفزيون الواقع " المستنسخ عن التجربة الغربية، والذي يقوم على نشر خصوصيات الأفراد على شاشات التلفزيون بما يُرضي نزعة حب الظهور عند الطرف الأول، ونزعه شغف معرفة أحوال الناس عند الطرف الثاني، وبالإضافة إلى ذلك هناك برامج " ستار أكاديمي " الذي تبثه قناة (LBC)، والذي اعتبره الكثير من رجال الدين بأنه برنامج يشجع على الفساد.

أما عن المسلسلات في القنوات الفضائية العربية ففي البداية كن هناك رواج للمسلسلات الأمريكية القديمة والمكسيكية المدبلجة، التي تدور أغلب مضامينها على الغرام والإنتقام، وفي الآونة الأخيرة انتشرت بكثرة الدراما التركية في القنوات الفضائية من خلال التركيز على المشاكل الإجتماعية والعاطفية والسياسية، مقدمة في قالب يتنافى والقيم الإسلامية العربية، في هذا السياق يقول " أوريليوس كريتسكو " (Aurelius Kritsko) : « أن التكنولوجيا الحديثة للإتصال ومضامينها الثقافية تنقل إلى بعض البلدان النامية دون مراعاة للإحتياجات والعادات والقيم الوطنية، مما يرتب آثار غير محمودة ويجعل هذه البلدان مرهونة بإرادة الدول المتقدمة، وهذا أمر يمكن اعتباره شكلا جديدا من أشكال الإمبريالية، يضفي صفة الدوام على تبعية البلدان الفقيرة للبلدان الغنية ». (طالة، 2014، صفحة 134)

4. الخاتمة:

انطلاقا من الدراسة السابقة ومحاورها، وما أتاحته من معلومات حول الجانب النظري والميداني، فإنه يمكن استنتاج ما يلي :

• إن القنوات الفضائية هي سلاح ذو حدين، فهي لعبت دورا مهما في التعليم والتثقيف والترفيه، والتعريف بالحضارات وانفتاح الثقافات المختلفة على بعضها البعض، وفي المقابل من ذلك شكلت تلك القنوات الفضائية تهديدا واضحا للهوية الوطنية، لا سيما في الدول المختلفة، التي لا تملك من الوسائل والإمكانيات التي تمكنها من الحفاظ على خصوصياتها الثقافية؛

• تمارس القنوات الفضائية تأثيرا واضحا على القيم في المجتمعات المختلفة، وتمكنت من خلال أسلوبها الذي يعتمد على الصورة أن تجذب الكثير من شرائح المجتمع، لا سيما منها شريحة الشباب، لتبني سلوكات تتنافى مع القيم السائدة في المجتمع .

• أدت القنوات الفضائية من خلال التركيز على الجانب الإستهلاكي والمادي إلى تغليب الجانب المادي للقيم، وهذا ما انعكس على إنسانية العلاقات الاجتماعية، بإخراج القيم من طابعها المعياري والأخلاقي، وإصباغه بطابع مادي يقوم على الثروة و المال ولغة الجسد؛

• تعتبر القنوات الفضائية وسيلة من وسائل إعلام العولمة الذي يهدف إلى نشر ثقافة واحدة وتعميمها على سائر المجتمعات، وهي ثقافة الدول الرأسمالية القوية، التي تتحكم في تكنولوجيا المعلومات والإتصال الحديثة، متجاهلة بذلك كل الخصوصيات المحلية والوطنية، وعلى هذا الأساس يعتبر البعض هذا الغزو الثقافي بمثابة صورة من صور الإستعمار الجديد.

• لقد أثارت مخاطر العولمة الثقافية على الهوية الوطنية مسألة الأمن الثقافي، الذي يعتبر من أهم قطاعات الأمن حيوية وأهمية إلى جانب الأمن العسكري والسياسي والإقتصادي والإجتماعي، حيث لا بد من إعطاء أهمية بالغة للأمن الثقافي، خاصة في الدول المتخلفة، التي تعتبر الطرف الأكثر تضررا من العولمة الثقافية.

• إن الأمن الثقافي هو أحد ركائز النهضة الحقيقية، لا يقل أهمية عن الأمن العسكري في المواجهة والدفاع عن مقدرات الأمة وحفظ أمنها واستقرارها.

• إن الدول المتخلفة لا ترعى الأمن الثقافي بالقدر الكافي والمطلوب، وذلك لانشغالها بقضايا التنمية، وتحقيق معدلات نمو بما يضمن تلبية احتياجات مواطنيها، غير أن اهمال الأمن الثقافي قد تكون له انعكاسات على مقدرات الأمة الثقافية وهويتها، لا سيما وأن الدول الكبرى لاسيما الولايات المتحدة الأمريكية أدركت دور العامل الثقافي في السياسة الخارجية.

وانطلاقا مما سبق يوصي الباحث بضرورة التدقيق في مضامين برامج البث الفضائي، وإيجاد آليات تعليمية، توعية، للتصدي للقهر الثقافي التي تمارسه العولمة الثقافية على المجتمعات لاسيما المتخلفة منها

عبر وسائلها خاصة القنوات الفضائية، وإيجاد إعلام عربي بديل يكون في مستوى تطلعات خدمة الثقافة الإسلامية العربية، وصون الأمن الثقافي.

5. قائمة المراجع :

1.5. المراجع باللغة العربية :

1. أحمد بلقيس؛ توفيق مرعي. (1998). *الميسر في علم النفس التربوي*. عمان، الأردن: دار الفرقان للنشر.
2. أحمد مجدي حجازي. (2004). *العولمة بين التفكيك وإعادة التركيب*. القاهرة، مصر: الدار المصرية السعودية.
3. أحمد محمد موسى. (2006). حماية الأمن الفكري. *مجلة الأمن والحياة، 25*(292).
4. إليكس ميكشللي. (1993). *الهوية* (الإصدار الأول). (علي وطفة، المترجمون) دمشق، سوريا: دار الوسيم للخدمات الطباعية.
5. انشراح الشال. (1993). *القنوات التلفزيونية الفضائية في عالم متغير*. مصر، القاهرة: دار الفكر العربي.
6. أياد شاكر البكري. (2003). *تقنيات الإتصال بين زمنين* . عمان، الأردن: دار الشروق.
7. بدوي محمد الشيخ. (2009). *الهوية* (الإصدار الأول). مصر: الأندلس الجديدة للنشر والتوزيع.
8. تيري إغلتن. (2018). *الثقافة* (الإصدار الأول). (لطيفة الدليمي، المترجمون) بيروت، لبنان: دار المدى.
9. جميل نواف البرماوي. (2016). *الإعلام الرسمي ومنافسة القنوات الفضائية* (الإصدار الأول). عمان، الأردن: دار زهدي للنشر والتوزيع.
10. جيهان أحمد رشتي. (1978). *الأسس العلمية لنظريات الإعلام* (الإصدار الثاني). القاهرة، مصر: دار الفكر العربي.
11. حسن سمير ابراهيم. (2005). الإستراتيجيات والسياسات الثقافية والوطنية والقومية ودورها في ترسيخ الهوية والأمن الثقافي العربي. *المجلة العربية الثقافية، 24*(46).
12. حسن عبد الله العايد. (2004). *أثر العولمة في الثقافة العربية* (الإصدار الأولى). لبنان: دار النهضة العربية.
13. رشيد أحمد طعيمة؛ محمد السيد مناع. (2000). *تدريس العربية في التعليم العام : نظريات وتجارب* (الإصدار الأول). القاهرة، مصر: دار الفكر العربي.
14. رشيد الحاج صالح. (2012). *الوجه السياسي للثقافة العربية المعاصرة* (الإصدار الأول). بيروت، لبنان: الدار العربية للعلوم ناشرون.
15. روبرت مكنمارا. (1970). *جوهر الأمن*. (يونس شاهين، المترجمون) القاهرة، مصر: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر.
16. زكي يونس الفاروق. (1978). *الخدمة الإجتماعية والتغيير الإجتماعي* (الإصدار الثاني). القاهرة: عالم الكتب للنشر.
17. سالم لبيض. (2009). *الهوية : الإسلام، العروبة، التونسة* (الإصدار الأول). بيروت، لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية.
18. سامي الشريف. (2004). *الفضائيات العربية : رؤية نقدية*. القاهرة، مصر: دار النهضة العربية.
19. سامية حسن الساعاتي. (1988). *الثقافة والشخصية : بحث في علم الإجتماع الثقافي*. القاهرة، مصر: دار الفكر العربي.
20. شريف محمد عوض. (2013). صناعة الثقافة في عصر العولمة وأثرها في تغيير ملامح الهوية الثقافية. (جامعة القاهرة، المحرر) *مجلة هرمس، الثاني*(01).
21. شوقي جلال. (2000). *العقل الأمريكي يفكر : من الحرية الفردية إلى مسخ الكائنات*. القاهرة، مصر: مدبولي.
22. عبد الإله بلقزيز. (2003). *الإعلام وتشكيل الرأي العام وصناعة القيم* (الإصدار الأول). بيروت، لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية.
23. عبد الكريم بن عبد الله الحربي. (2003). *الإنترنيت والقنوات الفضائية، ودورها في الإنحراف والجنوح* (الإصدار الأول). السعودية: مكتبة الملك فهد الوطنية.
24. عبد الله فتحي الظاهر؛ علي أحمد خضر المعماري. (2014). *أثر القنوات الفضائية في القيم الإجتماعية والسياسية* (الإصدار الأول). عمان، الأردن: دار غيداء للنشر والتوزيع.
25. فرانك مراميه، و وآخرون. (2003). *الفضاء العربي : الفضائيات والإنترنيت والإعلان والنشر*. (فردريك معتوق، المترجمون) دمشق، سوريا: دار قدمس للنشر.
26. لمياء طالة. (2014). *الإعلام الفضائي والتغريب الثقافي* (الإصدار الأول). عمان، الأردن: نبلاء ناشرون وموزعون.
27. محمد جاد أحمد. (2001). *البث الفضائي العربي*. القاهرة، مصر: دار المعرفة.
28. محمد سيد محمد. (1994). *الغزو الثقافي والمجتمع العربي المعاصر* (الإصدار الأول). القاهرة، مصر: دار الفكر العربي.

29. محمد علي فرح. (2014). *صناعة الواقع، الإعلام وضبط المجتمع : أفكار حول السلطة والجمهور والوعي والواقع* (الإصدار الأول). بيروت، لبنان: مركز نماء البحوث والدراسات.
30. محمد محمد عمارة. (2008). *دراما الجريمة التلفزيونية : دراسة سوسيو إعلامية* (الإصدار الأول). القاهرة، مصر: دار العلوم للنشر والتوزيع.
31. محمد ياسر الأيوبي. (2008). *النظرية العامة للأمن : نحو علم اجتماع أمني*. طرابلس، لبنان: المؤسسة الحديثة للكتاب.
32. محمود محمود النجيري. (1991). *الأمن الثقافي العربي : التحديات وآفاق المستقبل*. الرياض، السعودية: المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب.
33. مدحت أبو بكر سليمان. (أكتوبر, 2017). الدور الثقافي للإعلام الأمني. *مجلة الفكر الشرطي، 26*(103).
34. مصطفى حجازي. (1998). *حصار الثقافة بين القنوات الفضائية والدعوة الأصولية* (الإصدار الأول). بيروت، لبنان: المركز الثقافي العربي.
35. معمر بوزناده. (1992). *المنظمات الإقليمية ونظام الأمن الجماعي*. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
36. ملفين ديفلر؛رو كيش ساندرا بول. (1999). *نظريات وسائل الإعلام* (الإصدار الثالث). (كمال عبد الرؤوف، المترجمون) مصر: الدار الدولية للنشروالتوزيع.
37. وهبة الزحيلي. (1993). *مدخل إلى نظرية الأمن والإيمان : في سعادة الإنسان وتقدم المجتمعات* (الإصدار الأول). دمشق، سوريا: الدار المتحدة للنشر.
38. ياسين خليل. (1961). *منطق اللغة : نظرة عامة في التحليل اللغوي*. بغداد، العراق: مطبعة المعاني.

2.5. المراجع باللغة الأجنبية :

39. Barry BUZAN .(1983) .*People, states, and fear : the national security problem in internationals relation* (first edition) .(Great Britain: wheat sheaf books.
40. Ken BOOTH) .october, 1991 .(Security and Emancipation . *Review of international studies*.(04)*17* ،
41. Ov Cristian Noroce ،Anders Hellström ،Martin Bak Jørgensen و ،Nostalgia and Hope . .(2020)*Intersections between Politics of Culture, Welfare, and Migration in Europe* .Springer Nature.
42. Thierry BALZACQ) .hiver, 2003 .(2004 – Qu'est-ce que la sécurité nationale ? *Revue internationale et stratégique*.(52)
43. Thierry DE MONTBRIAL .(1999) .Réflexions sur la théorie des relations internationales . *Politique étrangère*.(03)